مجلة العلوم الإنسانية العربية
المجلد (٥) العدد (٤)
الإصدار الثامن عشر
٢٠٢٤ (١١-١)

تأويلية الفضاء المأوى في فعل النسيج

د. عمر محمّد عياد

جامعة قابس، تونس

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٦ نوفمبر ٢٠٢٤م

الملخص

تطرح هذه المقالة سبل تناول دلالة الفضاء في المنجز الحرفي من خلال المنسوجة التقليدية، وما مدى تطويع الجانب الفلكلوري لخدمة الموروث وترسيخه في اختصاص النسيج، واهمية دراسة المألوف ونشر الأبعاد الجمالية والفكرية للهوية في الحرفة التقليدية، معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي لقراءة الأعمال النسيجية والدلالة الاجتماعية والجمالية للفضاء المأوى في عملية الإبداع. دلت نتيجة هذه المقالة على أهمية استحضار الماضي الى الحاضر من خلال فهم ومعرفة الإطار العام للفعل النسجي وضرورة صيل الهوية في الحرفة التقليدية.

*** المقدمة**

إن مسألة التراث مسألة واسعة ومعقدة قد تُختصر في المنتوج المرئي والمادي المفصول عن مراحل بنائه وطقوسه والحال انه اشمل من ذلك بكثير فهو منهج ثقافي ونمط حياة يؤسس لهوية الشعوب، وليفهم هذا التراث ويدرس ويحيا "لابدّ من إعادة قراءته وفقاً لأحد المناهج العصرية والمحددة، ومن هنا فإن القراءة التي يمكن أن تبرز لنا فائدة حقيقية بعينها هي تلك القراءة التي تكشف عن الشروط الاجتماعية والثقافية والتشكيلية الخاصة لتراث، مثال ذلك للتراث الإسلامي الذي خضع إلى القراءة الفينومينولوجيّة واللّسانية والماديّة بهدف توظيف التراث لخدمة قضا العصر وأغراضه "[١].

و لتّالي فإن طريقة تقديم التراث يجب أن تقوم على" إدراك القيم الجمللية والابتكلرية وتذوقها في تلك الفنون، كما يجب تقديم تحليل القيم الرمزية فيها لتعرف ما لها من منظور وعلاقات قيمة، حتى يمكن إدراك العديد من العلاقات وإصدار بعض الأحكام الجمالية والفنية بهدف تذوق القيم الأساسية في فنون التراث"[٢]، و لتّالي فتحديد مفهوم

التراث « Patrimoine » والثقافة «Culture »

يسهّل علينا ضبط مصطلح " الموروث الثقافي" فيمكن القول في هذا الإطار" أن الموروث الثقافي هو حصيلة خبرات أسالفنا الفكرية والاجتماعية والمادية، المكتوب والشفوي، الرسمي

[١] إحسان عرسان الرباعي ووائل منير الرّشدان، إشكاليّة التواصل مع التراث في الأعمال الفنيّة، مجلّة جامعة دمشق، المجلّد التّاسع عشر، العدد الثاني، ٢٠٠٣، ص١٤٦.

[٢] سرية عبد الرازق صدقي، الملاحظة كأساس للبحث في الفنون، مجلة دراسات وبحوث، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني، ١٩٨٨، ص١١٣.

والشعبي، اللغوي وغير اللغوي، الذي وصل إلينا من الماضي البعيد و القريب"[٣]، "وموجود في ذاكرتنا يعيش معنا وهو يتجسد في أشكال مختلفة خلال حياتنا اليومية في تصرفاتنا وتعبير وطرائق تفكير ومهما حاولت القطيعة معه، أو إعلان موته نظرً أو شعورً، تظل أنساق وأنماطه العليا محفوظة في الوجدان ومتمركزة في المخيّلة "[٤].

لتبقى لكلّ منطقة خاصية في صناعاتها التقليدية وإن تشابهت في ماهيتها مثل النسيج والخزف وغيرها، وتكون هذه الخاصية في البناء والرّسم والهيكلة هي الدّال عن الهوية، هوية المنتوج الحرفي، وقد تفنّن أهلها منذ القدم في صناعة النّسيج لتتنوّع المنتوجات وتتعدّد ليذكر في نوعين من الإنتاج النسيجي أحدهما من صنف الملبوسات واخر من صنف المفروشات. هذا المنجز المادي التراثي يسبقه موروث لامادي ثقافي في العادات والتقاليد والطقوس الممهد لفعل الإنتاج، لتحضر النساجة المحددة لتوقيت فعلها ومكانه وتُوَّرث مكا سبقها اليه العديد من قبلها، هذا الحيز الذي تحول من ظرف مكاني الى عنصر دلالي مفعم لمفاهيم والتأويلات والصور، اين يمكننا الحديث عن مفهوم الفضاء المأوى بما يحمله هذا المصطلح من مفاهيم ورموز واهمية اجتماعية نفسية تراثية مهدت لإنتاجات حرفية تقليدية مفعمة بجماليات لهوية تشكيلية وعرقية.

*** إشكالية البحث**

يطرح البحث الإشكاليات التالية: –

١– أي دلالة اجتماعية، نفسية وسيميائية للفضاء المأوى في انتاج المنسوجات التقليدية؟

٢– كيف يمكن ويل الفضاء المأوى سوسيولوجيا وتشكيليا في الفعل النسجي وعلاقته لهوية والتراث؟

٣– ما مظاهر جماليات التشكيل في المنسوجة التقليدية؟

الكلمات المفتاحية: الفضاء المأوى، المنسوجة التقليدية، الهوية، الموروث

*** أهداف البحث**

١– دراسة سيميولوجيا الفضاء المأوى في فعل النسيج لخدمة الهوية التراثية وترسيخها.

٢– دراسة المقومات التشكيلية والجمالية للمنسوجة التقليدية.

*** أهمية البحث**

١– تسليط الضوء على أهمية التراث النسجي والبحث في عناصر انجازه

٢– التركيز على دور النساجة المنجزة وعلاقتها بفضاء المأوى وفعل النسيج

٣– البحث في دلالة الممارسة وانشائية العمل في النسيج التقليدي

*** فروض البحث**

١– ان المنسوجة التقليدية واجهة التراث النسجي، وزمن الفعل ومكانه وطقوسه وترتيباته هي لب التراث

٢– انه لابد من المحافظة على الهوية التراثية في ظل التطورات الصناعية.

*** منهجية البحث**

سوف يتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي

[٣] محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرّواية العربية المعاصرة، دراسة، ص٢١.

[٤] سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، من أجل وعي جديد التراث، روية للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٢٢٠.

*** حدود البحث**

١- يقتصر البحث على تناول أهمية دراسة دلالة فغل النسيج ومحيطه وحضور مقومات الهوية التشكيلية وأساليبها في فضاء المنسوجة التقليدية.

٢- استلهام التراث في المنسوجة التقليدية وعلاقة المنجِز لمنجَز.

*** أنماط ودلالة السكن المأوى**

يعد المسكن او المأوى من أهم الضرور ت في حياة الانسان الحرفي لين سيتخذ منه ملجأ وورشة، وعرف "جورج بيار" المسكن أنه عنصر أساسي للارتباط بين الفرد والأسرة والوسط الاجتماعي، وهو يصنع نموذج من الإنسانية"[٥] .والمسكن عبر التاريخ قد مر بعدة مراحل من الكوخ الذي يعتبر اول ملجا للإنسان ومكانته كفضاء سكني ير ح فيه ويمارس بداخله كل ما يتعلق به في حياته اليومية ببساطه يعد من الاماكن التي يحاكي فيها حقيقته كانسان وعلاقته مع اسرته وكذلك علاقته مع العالم اخر،ـفـ"هو مجال ذو نظام متداخل يتطلب تطبيق علم العمران و الاجتماع والاقتصاد والعمارة والتصميم الداخلي والسياسة وعلم النفس وعلم القانون حيث أن مكو ت الإسكان متداخلة ومعتمدة على مجالات أخرى، ويبدو أحيا أنه من الضروري معرفة كل هذه النظم و النواحي لحل مشكلة ما من مشاكل الإسكان أو لاختيار مسكن معين".[٦]

لقد اخترع الانسان البدائي الكهوف والغار للسكن والحماية، وهو الامر الذي لايزال موجودا في القرى الجبيلية الامازيغية لمغرب العربي. والغار كلٌ مُنْخَفِض من الأَرض وهو مثلُ البيت المنقور في الجبل. "إن الغيران أحواش حفريّة في شكل غرف. تحوّل السكن الحفري إلى سكن أكثر تعقيدا، حيث ظلّت الغيران تشكل السكن بمعناه الكامل بينما الغرف المضافة أمام السكن الحفري تشكل مكان الخزن لتكون النواة الأولى من قمة الجبل في اتجاه مواضع منخفضة نسبيا على جنبات السكن الحفري -الغار-."[٧] والأرجح ان المسكن المحفور هو تطور للمسكن المنقور على قمم الجبال "

يعتمد التأثيث بهذه المساكن على عناصر بتة في البناء، وهي السّدّة أي السرير، والخزانة وهي تجويفات غير فذة في الحائط. وفي الجدار تظهر أو د مغروسة لتعليق الأواني والأدوات المنزلية والملابس وأدوات الزينة وغيرها، كما يتوسط الباب غالبا محور الغرفة فتتوزع على جانبيه مختلف الأفضية الوظائفية كالمنسج، هذا الاخير يشغل حيزا هاما معنو ومكانيا فهو يوفر فضاءا مأوى للنساجة تمارس فيه سيطرتها وابداعاتها وتصوراتها، ذلك لأن النساجة الامازيغية ترسم ما ترى وتتصور وما تعتقد وتتمنى، غير أنها في ذلك تتصرّف بحذر وشعور صادق لمسؤولية، وتدرك الامازيغية في وقت مبكر من حياتها أن للرسم والشكل لغة مختلفة عن التبسيط والسذاجة، وهي لغة تصلح للوصف ولاستدعاء الذكر ت والحنين. ذلك خيار النساجة الامازيغية للإفلات من هيمنة الحكاية وتنقية الواقعة من تفاصيلها -أي تفاصيل الحكاية-.

[٥] أحمد صبور، المعرفة و السلطة في المجتمع العربي، مجلد ٣، مكتبة بيروت سنة ١٩٥٩ ، ص٥

[٦] سمير نور الدين الوتار. الإسكان مقدمة و مفاهيم. المحاضرة رقم سبعة . جامعة الرياض – السعودية . صفحة ٤

[٧] أبو عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني، رحلة التيجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ١٩٨١

*** انشائية المنسوجة التقليدية**

ترتكز إنشائية المنسوجة على عادات وتقاليد وطقوس تُحفظ لتنجز في أجواء استبشاريه وهو أمر تعوّدت عليه النساجات، و"من العوائد أن لا يغزل النساء ليلة عاشوراء ويوم عاشوراء وليلة الثاني عشر".[٨]

حتى تكون عملية النسج "ملايكتها خفيفة" أي سريعة الإنجاز ولا تجد النساجة عناء كبيرا حسب رأيهن. إضافة إلى الأشعار أو الكلمات التي تقال عند إنجاز المنسوجة، فهي أشعار تؤنس النساجات وتحثهن على العمل لما فيها من نفس فخري ومدحي، يتغنى لمنسوجة في حد ذاتها و لنسّاجات. فالمنجز النسيجي فعل تحكمه الطقوس والعادات، و"يعد لجوء الناس إلى ممارسة طقوس وعادات تبدو في مظهرها لاعقلانية، لكنها تعد في نظر السوسيولوجيا نوعا من السلوك المعقول لأنها تضطلع بوظيفة سد الفراغات ورتق الاختلالات التي أفرزتها الحداثة في النسيج الاجتماعي".[٩]

والطقوس هي المحتوى الدلالي لكلمة طقس، الطقسي، الاحتفال، العيد، إذ اتبعنا عالم اللسانيات ايميل ''بينيفست Benifstte Emil ، وهذا المصطلح موصوف، فإن الاصل الاشتقاقي لكلمة طقس تعني نظام مرتبط لصيغ الاغريقية كـ Artus الذي يعني "Aratsonوصفة" نسق وفق Ahtomo الذي يستدعي العالقة والاتصال، ومع الجذر اللغوي Ar الذي تحول إلى الهندو أوروبية Arta، Rata، فإن الاصل الاشتقاقي في الكلمة يدفع التحليل نحو النظام الكوني ونظام العالقات بين البشر، والالهة ونظام[١٠] البشر فيما بينهم[١١] .لتحضر في الفعل النسيجي بداية من وضع المنسج وصولا إلى عملية القطع أو فصل المنسوجة. وترافق عملية وضع خيوط السدوة فرحة وابتهاج النساجة والأطفال، وبما ان لكل طقوس توقيت وفضاء فان للمنسج مكان خاص في الغرفة او الكهف او الغار كما ذكر ليسمح هذا المأوى الضيق بتشكل الأنثى المتعالية عن كل إدراك ووعي، والتي تعيش أحيا حياة السمع والطاعة أمام الرجل السيّد لتعي بذاتها عند فعلها النسيجي وتسكن فضاءها الخاص، وتصبح هي الفاعلة والمنتجة والمتساوية مع الأخر من حية الكنه المفقود من خلال العادات والتقاليد وما يجب وما لا يجب. وحالة الممارسة هذه عند انجاز المنسوجة إنما تذكر بمعنى الايواء ليتبين لنا أن هذا الفعل ليس صناعة فقط، فهو قمة الإحساس بنشوة السيطرة والتحكم والفعل.

تحضر أ مل المرأة في الفعل النسيجي فهي –أي الأ مل– أداة البناء والتحسس عند الإنسان ووسيط الشعور للذة أو الألم، هي قطب الانفعالات والأهواء وحالات الوعي لتخرج بواسطتها "أ " النساجة وتلتقي مع الجسد الثابت، لتُقرّ بفاعلية حضور الآخر بغضّ الطرف عن ماهيته

[٨] محمد عثمان الحشايشي. العادات والتقاليد التونسية. سرس للنشر. تونس. ١٩٩٤. ص. ١٩٧.

[9] المنصف المحواشي. العائلة والفرد وممارسة المقدس من خلال حركة التحديث الاجتماعي في تونس. حالة مدينة المكنين. مقاربة سوسيو نتروبولوجية. أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. تونس. ٢٠٠٠. ص. ٥٣٠.

[١٠] فطيمة حاج بن عمر-التماسك الاجتماعي والاحتفالية الدينية في الوسط النسوي: رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، المركز الجامعي غرداية، ٢٠١١، ص٥٥

[١١] بوقفة صبرينة-الطقوس والممارسات العقائدية في المجتمع الشعبي بولاية تبسة ودلالتها الاجتماعية: مجلة الثقافة الشعبية، العدد ٣٩، البحرين،٢٠٢٢

إن كان جسدا أو أهواء وانفعالات، قال غوته[١٢]: "ليس ضرورً دومًا أنَّ ما هو حق يُجسِّم نفسه، يكفي وحسب أنه في روحيته يحتضن ويستدعي التناغم.." فتبحث النساجة في هذا المجال عن إظهار قدرتها على العبور من الطموح إلى الانجاز ومن اللاّمنجز إلى المنجز ومن الكبت إلى الإعلاء ومن النقص إلى الكمال. وهكذا يُصبح الفعل النسيجي ليس مجرد عملية للابتكار التركيبي بل هو جوهر الروح الفاعلة، ومن ورائها جسدها وسيط الفعل والشهوة المؤلمة في جانب منها من خلال متاعب الفعل المرهق للجسد الساكن المتحرك، ومن نشوة الروح المسجونة المتحررة.

تسكن المرأة والفتاة الحرفية نفس فضاء الفعل النسيجي، ولكنها تختلفان في مدّة الوقت الذي تقضيه كل واحدة منهما وراء المنسج، فالفتاة تُطيل الوقت أكثر، ويرجع ذلك إلى عامل السن وسرعة تعب المرأة التي لا تطيق طول النسج والجلوس مع استمرار حركة اليدين ولانشغالها بشؤون الزوج والابناء، على عكس الفتاة الأقل سنا، والتي تجد ذاتها في هذا الفعل. فهو مجال للابتكار والإبداع وإثبات الذات وتفعيل الرغبة من خلال عملية الاتصال والانفصال، من هنا تكتسب الفتاة طرق التعرف الى اساليب فعل النسج، لتتكوّن بذلك بداية الحياة الفعلية لكل فتاة وهي بداية الممارسة وبداية إحساسها لفضاء والحرفة، ومؤشر من بين المؤشرات الدالة على تبدل حالها من مرحلة إلى أخر وبداية معرفتها لخبا الحرفة ووسائطها واسرارها، على أنها" تلك الصناعات التي تعتمد على مهارات يدوية خاصة لعمال أو التي تستخدم أدوات بسيطة فقط، وتستند تلك الصناعات إلى فكرة رئيسية تتمثل في تحويل المواد الخام البسيطة وبشكل يدوي إلى منتجات مصنّعة تعكس طابعا تراثيا وثقافيا محليا، ويتم تسويقها عتبارها سلعة اقتصادية، وتحمل هذه المنتجات تعابير وملامح تراثية ودينية في معظم الأحيان"[١٣].

كما عرّفت الدكتورة "شارلوت سيمور سميث"[١٤] الصّناعة التقليديّة في موسوعة علم الإنسان المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجيّة[١٥]، " لأعمال التي يزاولها الصّناع مستخدمين في ذلك مهاراتهم اليدويّة دون الاعتماد على الآلات. ويتولى الصّانع العمل اليدوي بنفسه أو بمعاونة أفراد عائلته أو عدد محدود من المساعدين"[١٦].

و لتالي فالصناعات التقليديّة هي حكر على العمل اليدوي وهي همزة وصل بين الماضي والحاضر، فالمنتج الحرفي التقليدي هو تعبير مباشر عن التواصل بين الأجيال ومدخل من مداخل الخبرة التطبيقية للمعرفة الإنسانية التي تتميز بها الثّقافة المحليّة، من حيث إضفاء الجمال الفنّي على المواد الخام من خلال الرؤية الفنية والجمالية، فيتحول ما هو نقص إلى ما هو فني، بل قد يعلو هذا الإنتاج ليكون له قيمة متحفية أو ريخية تؤكّد على الاعتزاز لإنتاج المحلّي. كما تساهم في ربط

[١٢] فون غوته ولد في .28 أغسطس 1749 في فرانكفورت، توفي في 22 مارس 1832 في فايمار كان شاعراً وعالماً طبيعياً وواحداً من أهم مبدعي الشعر باللغة الألمانية

[١٣] باسم مكحول، إبراهيم هنطش، قطاع الصناعات الحرفية غير المنظم في الأراضي الفلسطينية: الوقاع والآفاق، القدس، معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني، ٢٠٠٦.

[١٤] شارلوت سيمور سميث، مؤلفة موسوعة المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجيّة، حاصلة على درجة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا من معهد دراسات أمريكا اللاّتينيّة، وشغلت لفترة وظيفة أستاذ الأنثروبولوجيا بجامعة الأمازون، في ايكيتوس بدولة بيرو، وهي الآن خبيرة دوليّة في التنمية.

[١٥] علم الإنسان والأنتروبولوجيا، هو العلم الذي يتناول الإنسان من كلّ جوانبه الجسميّة والاجتماعية والثقافيّة، فالأنتروبولوجيا هي العلم الذي يعلّم التنوّع، ويلتمس لكلّ ثقافة منطقها ويبحث فيها عن تكاملها الدّاخلي ورقيّها وإنسانيّتها.

[١٦] شارلوت سيمور سميث، موسوعة علم الإنسان المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجيّة، ترجمة مجموعة أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد جوهري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨، ص٦٨٨.

هذا الإنتاج الحرفي لتنمية الشاملة والمستدامة لجعلها رافدا من روافد الإنتاج وقادرة على المنافسة.

المنسوجة التقليدية مصدر الصور[١٧]

*** دلالات الفضاء المأوى في فعل النسيج**

يتوشح مكان فعل النسج لألوان وتتزين آلة النسيج بها لتشعر وأنت تدخل مكان التقاء المرأة لة نسجها لبهجة، بهجة سكن النساجة الى الآخر المتحرك لتبعث فيه الروح والشعور والحركة، ويكبر العمل بين أ ملها. ففعل النسج فن ورثته النساجة عموما والامازيغية خصوصا عن الأجداد ووجدت فيه ضالتها ليكون سبب التقاء مباح وعرفي مع الاخر يلبّي لها رغبات لا ينبغي الخوض فيها، فينتفي هذا الخجل عند الملاقاة المنسج علنا، فهو المقيد في مكانه تستطيع المرأة ملاقاته والاتصال به إلى جانب زوجها وأهلها وهو أيضا الآخر الوفيّ، ومحل الثقة والحب من طرف الجميع لكونه الساتر للعِرض إما عند جلوس المرأة وراءه أو عند إنتاجه لمنسوجة تستر الجسد، ليلعب دور المراقب والسجّان لها داخل مأواها.

فالفضاء الذي تجلس فيه النساجة أي موضعها بين المنسج والحائط نجده فضاء ضيّقا جدا لكاد يقدر على احتوائها، فيطبق عليها المكان ويحسسها لأمان والحماية المفقودة أحيا ، لتتلامس يداها وركبتاها مع المنسج ويحتويها كملها، وتكون حريتها وهي جالسة وراءه عكس وضعها الفعلي فهي الآمرة والناهية وهي المحددة للحظة الاتصال والانفصال والمتحكمة في أطراف المنسج لترفع عضوا وتخفض الآخر والحال أنك تكاد تجزم ن النساجة تحت رحمة الآخر المقابل لها، يحصرها ويحجبها ويضيف معا ة إلى معا تها ومحاصرة إلى حصارها. إنها مفارقة عجيبة تستمتع بها النساجة لأنها هي الفاعلة في الأخر وهي الخالقة لنفسها لذة مفقودة من عنصر لا لذة فيه ولا روح فيه.

وهنا تكمن شاعرية النساجة وقدرتها على الخلق ليس على المستوى المادي فقط بل تجاوزته إلى المستوى الروحي والجسدي والنفسي.

انعكست تلك الرغبات والآمال والتصعيدات الكامنة في ذات النساجة، على المنتوج أو محمل المنتوج، لتعتمد إضافة إلى الحركات والتماس مع هذا الفضاء على الألوان الصارخة والأشكال الحادة المسترسلة والمتوالدة والمحتوية لبعضها البعض، لتعاد التركيبة التشكيلية الزخرفية الهندسية بنفس الحجم والقياس ويحضر التناظر في المحمل لترمز هذه العناصر والتكوينات إليها وتجعلها لغزا أو لعبة بين الكشف والاحتجاب،ـفـ"الشبكة المفردية في النسيج لا تخطط قبلا، فهي مُتصورة في المجال الخيالي للصانعة وتتراكب هذه الشبكة المتصورة على الشبكة الهيكلية للنسيج فتمكن الصانعة من تجسيم تركيبتها المتعددة حسب نظم إيقاعية متنوعة. ولا شك أنها تحمل في ذهنها تصورات مختلفة لتركيبات ممكنة تنسّقها

[17]_https://www.facebook.com/photo.php?fbid=3046129875656401&id=2258375341098529&set=a.2258761257726604&locale=vi_VN

حسب الطلب أو حسب رغباتها، وعادة ما تنظم نسيجها وفق شبكة واحدة، فتتنوّع تركيباتها التشكيلة واللونية حسب توزيع خيوط هيكل النسيج وتجميع خيوط الصّوف اللونية".[١٨]

وتتراوح ذات النساجة بين الظهور والتخفي بين المقدّس والمدنس، فهي في آن موضوع رغبة أو لذّة وموضوع تعفف واحتجاب. وعملية الكشف والتخفي هذه من خلال فضاء عمل النساجة فيها من المتناقضات الشيء الكثير، فهي الحضور والغياب والاتصال والانفصال والداخل والخارج والأ والآخر والقبول والرفضـــيتم "فتح المجال أمام الجانب الأنثوي لكي يمارس دوره الخاص في اللّعبة، التي تمثل اللّعب الخالص، لمظاهر الخارجية، والمراوغة في التلاعب لعين والحواس الأخرى بسرعة في إطلاق حرية الحركة للمظاهر الخارجية، في اللعب على الجسد أو التلاعب به.."[١٩]

تحضر الأنثى المتعالية عن كل إدراك ووعي، أي التي ليست في حاجة لوعينا كي نعترف بها، لتعي بذاتها عند فعلها، وتصبح هي الفاعلة والمنتجة والمتساوية مع الرجل من حية الكنه المفقود من خلال العادات والتقاليد وما يجب وما لا يجب، فالذّوق الجمالي أو اللذة الإنشائية ليسا خاضعين للذات لتنتفي الأخيرة في لحظة الممارسة، فالجمالية بمختلف مجالاتها كما قدّمها "موريس مورلوبونتي" ليست حكم الذات على الموضوع.

وإذا اعتبر آلة النسيج أو "المنسج" جسدا يتمثل في الفضاء، ليصبح صورة لنسبة إليها، فهو ليس معطى طبيعيا فقط بل نتاجا ريخيا وثقافيا أيضا تحترمه ويصبح ملاذا لها ومجال تحقيق لذاّت قد تفتقدها الفتاة وقد تحرم منها المرأة لسبب ما فتتطور العلاقة بين النساجة وفضاء آلة نسجها إلى علاقات ذاتية روحية رمزية من أجل شيء لا يحضر تماما بل يكون مستبشرا ومنتظرا. وإذا كانت النساجة هي التي تتمتع لحضور وتعي به فإنها لا تحضر لذاتها ولجسدها مباشرة بل تحضر في عالم خاص بها ومتمم لكيانها ورغباتها وهنا تكمن اللذة الروحية المعوّضة للجسدية ولذا نراها تحرص دوما على تلاءم السرّي والمعلن وتجانس الشكل والحال وتكامل الفعل والانفعال دون أن يتوفر لها ذلك كليا.

تجد النساجة الحرفية ذاتها في هذا العمل فهو يوفر لها مجال الابتكار والإبداع وإثبات الذات وتفعيل الرغبة من خلال عملية الاتصال والانفصال، والجلوس إلى جوار النسوة والاستماع إلى الأحاديث والأحداث و ريخ كل شيء هي في تماس معه، وكذلك البحث عن اللذة، لذة الابتكار والإنجاز لتكتفي بذاتها وترضى لقليل، "والخير الأعظم في اعتقاد هو أن نحسن الاكتفاء بذاتنا، وليس معنى ذلك أن نتقشف دائما في عيشنا وإنما نقنع لقليل إن كنا لا نملك الكثير"[٢٠] من هنا تكتسب الفتاة طرق التعرف على اللذة، و"اللذة هي بداية الحياة السعيدة وغايتها..."[٢١] إمّا من خلال الحديث المرافق لعملية النسيج أو في العمل في حد ذاته، تتكوّن بذلك بداية الحياة الفعلية لكل فتاة نساجة وهي بداية ممارستها للفعل النسيجي وبداية إحساسها للذة الكامنة وراء ذلك.

لرغم من الصبر الكبير للنساجة وراء المنسج، فهي تبقى الساعات الطوال تمارس عملها دون ملل أو ضجر،

[١٨] نور الدين الهاني. "المفردة في الفنون التشكيلية، الوظائف التوليدية للمفردة التشكيلية". الصادر عن وزارة الشؤون الثقافية. مركز الفن الحي. مدينة تونس. معرض. ١٩٨٨. ص. ٥٣.

[١٩] شاكر عبد الحميد. عصر *الصورة*. ط١. عالم المعرفة. الكويت. ٢٠٠٥. ص ١٣٦.

[٢٠] أبيقور. *الرسائل والحكم*. دراسة وترجمة جلال الدين سعيد. الدار العربية للكتاب. ١٩٩١. ص ٢٠٥.

[٢١] نفس المرجع السابق. ص ٢٠٥.

ويتجلى ذلك الصبر في فضاء المنسوجة. فالتكرار عادة ما يبعث على الملل وهو حاضر بقوة في المنسوجة الامازيغية من خلال تكرار الأشكال والتراكيب، وهي "رقمة" تعاد في أغلب الأحيان لتتجلى المعاودة في قسمين قسم عملي عادة نفس الحركة، –حركة تكاد تكون آلية ميكانيكية تشعرك وأنت تنظر إليها وتراقبها نها آلة مبرمجة–، وتلعب الذاكرة في هذا المستوى دورا هاما في إنجاز المنسوجة وهي –أي الذاكرة– حسب تعريف "بول روبرت[٢٢]" "الملكة التي تجمع وتحفظ المدركات الماضية وما يرتبط بها... وهي في الواقع الفكر الذي يخزن ذاكرة الماضي."[٢٣]

إنّ السكن التقليدي يعمل وظيفيا ورمز كما لو أنّه يحلّ محلّ الإنسان نفسه، فهو من الناحية المادية، وبفضل أبعاده الصّوتية والشمية والبصرية والحركية والروحية، لينطبق عليه توصيف ماركس للمنزل نّه "جسد لا عضوي للإنسان".

كما أنّ التصميم الهندسي وفق ثنائيتي الانغلاق والانفتاح والنور والظلّ، وهو الامر ذاته للفضاء المأوى لفعل النسيج بغرفة المنزل وهي نفس الخصوصيات و المفاهيم و الصفات، فهو الفضاء المأمن والملهم للنساجة وهو المأوى الذي من خلاله تبدع الحرفية وتثبت ذاتها بذاتها حيث عادة ما تبدو هذه الأخيرة في لعبة للتخيّل للمتجدّدة كائنا مركز ، غير أنّ هذه الذات ليست فردية على نحو يوحي بعزلتها، بل إنّها لا تتكشّف سوى عبر تجليات فعل النسج وملامح الحركة في الجسد الساكن، إذ تتدرّج النساجة دلاليا من التعبير عن الذاتية المعيارية للحرفي التقليدي نحو الإحالة على جملة من تجريداته المخيالية العفوية التي يتماثل في بعض تعبيراته مع نماذج أصيلة كالخيال والأحلام. لينتقل الفضاء المأوى لفعل النسج لنساجة الى الهدوء والسكينة في مكان مغاير آخر كمكان للهدوء والعزلة في إشارة لاستخدام المكان لأغراض انتاجية وارتباطه لممارسات حرفية، ثم تعود لتعود بعد ذلك إلى ضوضاء متطلبات الاسرة والاطفال وصخب الحياة، وما يحدث من استملاك لها من قبل بعض الأفراد العائلة لتلبية حاجتهم واستمرار الحركة وتنتقل الى ان اعود في مرة اخرى الى فضائها المأوى. فالنساجة تقوم بدور اقتصادي كبير نشاهده واضح من خلال نسج المنسوجات الصوفية والقيام لأعمال المنزلية الأخرى.

[٢٢] بول روبرت وهو معجمي، ولغوي، من فرنسا، ولد في الشلف، توفي في موجينس، – 1910 .١٩٨٠

[23] Paul Robert. *Le Robert*. *Dictionnaire poétique et analogique de la langue française*. Paris. 1920 p. 351.

النساجة في الفضاء المأوى مصدر الصور

*** خاتمة**

إن العلاقة التراث الثقافي لموروث الشعبي علاقة القويَّة، وكلاهما يشكِّل الهوية في جوانبها المختلفة ذلك **بأن** الموروث الشعبي عنصر مهمّ من عناصر التراث الثقافي، ويتجلى هذا الموروث في مختلف الفنون والقافة الشعبية والحرف، كما يتجلى في الأمثال والعادات والتقاليد والطقوس الشعبيَّة التي ذكر بعضها في مقالتنا هذه، وهو يمثِّل نسقا متكاملا من الرموز وأشكال التعبير الفني والجمالي، وهذا يشمل والتصوّرات، والمعايير، والتقنيات المتوارثة، والتقاليد، والأنماط السلوكيَّة التي تتوارثها النساجات.

و سيسا على ما تقدَّم يمكن القول ن مفهوم الموروث الشعبي أو التراث الشعبي مفهوم يتَّسم لعمق والشمول ولعل الصناعات والحرف التقليدية و ما يحيط بها ويرافقها من طقوس عنصرا منه، هذه العناصر المثقلة هي ايضا بتفاصيل متوارثة يبقى الاطار الزماني والمكاني لفعل النسيج احد اهم هذه العناصر السيميولوجيو المتجاوزة لمنظورها المادي الحسي الى المفاهيم والمصطلحات التي تستحق الدري في علاقتها لنساجة المبدعة و لمادة الابداعية التقليدية، فهي وعاء الموروث الحضاري الذي يتجلى في أنماط سلوكيَّة وفكريَّة فرضت حضورها ووظيفتها واستمرَّت مع صيرورة التاريخ دون أن تنقطع حيث وجدت حضورها الروحي في ضمير الإنسان المعاصر الباحث والناقد والوارث ووجدانه دون أن تفقد جمالها و لقها الفني والثقافي. لتبقى المنسوجة التقليدية ومن ورائها فضاء انجازها مأوى للنساجة المبدعة المحافظة على الهوية الفنية والتشكيلية والدلالية لموروث ثقافي كبير يستحق الدرس والتثمين.

*** النتائج ومناقشتها**

أوصلتنا هذه الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:-

١- إن استمرار وحضور الهوية في العمل الحرفي هو في الاصل حفاظ على فلكلور كامل من عادات وطقوس اورثها الأجداد الى جانب المنتج المادي المحسوس

٢- مقاومة الفعل النسجي لمتغيرات العصر وقدرته على الثبات لمحافظة على الهوية.

٣- سيميولوجيا الفعل النسجي مبحث تشكيلي مفاهيمي واسع

٤- اهمية الفضاء في الممارسة الحرفية لا على المستوى المادي لدلالي ايضا

*** النتائج العامة والدراسة:-**

١- توازن النساجة امام متغيرات العصر.

٢- انفتاح الماضي على الحاضر وحفاظه على كنهه من ب التراث الثقافي .

٣- الثراء التشكيلي في المنسوجة التقليدية مجال التصور الفني

٤- الفضاء المأوى مجال تفاعل لتصورات ورغبات النساجة

٥- التقاء بين الموروث المادي واللامادي يخلق تصورا جديدا للبحث في مجال الحرف التقليدية للإثراء الخطاب التشكيلي .

٦- العملية الإبداعية لا تتحقق فقط من خلال الصورة النهائية للمنجز الحرفي بل هي عملية شامله ومواكبة لكل المراحل والعناصر والطقوس.

*** توصيات الدراسة**

١- ضرورة الحذر من مغر ت الحداثة التي قد تقضي على قيمة وجمالية الفعل المنجز اليدوي.

٢- الحذر من الوقوع التركيز على المنجَز واغفال المنجِز.

٣- صيل الهوية ضمن البحث في فعل الانجاز قبل المنجَز

٤- ضرورة دراسة الموروث الحرفي عموما والنسجي خصوصا تشكيليا وسيميولوجيا وسوسيولوجيا للاستفادة منه والمحافظ عليه

*** المراجع**

اولاً–المراجع العربية

فون غوته ولد في٢٨ اغسطس في فرانكفورت، توفي في ٢٢ مارس ١٨٣٢ في فايمار كان شاعرا وعالما طبيعيا وواحداً من أهم مبدعي الشعر للغة الألمانية

شارلوت سيمور سميث، مؤلفة موسوعة المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجيّة، حاصلة على درجة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا من معهد دراسات أمريكا اللاّتينيّة، وشغلت لفترة وظيفة أستاذ الأنثروبولوجيا بجامعة الأمازون، في ايكيتوس بدولة بيرو، وهي الآن خبيرة دوليّة في التنمية.

علم الإنسان والأنتروبولوجيا، هو العلم الذي يتناول الإنسان من كلّ جوانبه الجسميّة والاجتماعية والثقافيّة، فالأنتروبولوجيا هي العلم الذي يعلّم التنوّع، ويلتمس لكلّ ثقافة منطقها ويبحث فيها عن تكاملها الدّاخلي ورقيّها وإنسانيّتها.

بول روبرت وهو معجمي، ولغوي من فرنسا ولد في الشلف ١٩١٠ وتوفي في موجينس ١٩٨٠

إحسان عرسان الر عي ووائل منير الرّشدان، إشكاليّة التواصل مع التراث في الأعمال الفنيّة، مجلّة جامعة دمشق، المجلّد التّاسع عشر، العدد الثاني، ٢٠٠٣

سرية عبد الرازق صدقي، الملاحظة كأساس للبحث في الفنون، مجلة دراسات وبحوث، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني، ١٩٨٨.

ر ض و ر، توظيف التراث في الرّواية العربية المعاصرة، دراسة.

سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، من أجل وعي جديد التراث، روية للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦.

أحمد صبور، المعرفة و السلطة في المجتمع العربي، مجلد ٣، مكتبة بيروت سنة ١٩٥٩.

سمير نور الدين الو ر. الإسكان مقدمة ومفاهيم. المحاضرة رقم سبعة. جامعة الر ض – السعودية .

أبو عبد بن بن أحمد التيجاني، رحلة التيجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس،

عثمان الحشايشي. العادات والتقاليد التونسية. سرس للنشر. تونس. ١٩٩٤.

المنصف المحواشي. العائلة والفرد وممارسة المقدس من خلال حركة التحديث الاجتماعي في تونس. حالة مدينة المكنين. مقاربة سوسيو نتزوبولوجية. أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. تونس. ٢٠٠٠.

فطيمة حاج بن عمر–التماسك الاجتماعي والاحتفالية الدينية في الوسط النسوي: رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، المركز الجامعي غرداية، ٢٠١١.

بوقفة صبرينة–الطقوس والممارسات العقائدية في المجتمع الشعبي بولاية تبسة ودلالتها الاجتماعية: مجلة الثقافة الشعبية، العدد ٣٩، البحرين

سم مكحول، إبراهيم هنطش، قطاع الصناعات الحرفية غير المنظم في الأراضي الفلسطينية: الوقاع والآفاق، القدس، معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني، ٢٠٠٦.

شارلوت سيمور سميث، موسوعة علم الإنسان المفاهيم والمصطلحات الأنتزوبولوجيّة، ترجمة مجموعة أساتذة علم الاجتماع شراف جوهري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨

نور الدين الهاني. "المفردة في الفنون التشكيلية، الوظائف التوليدية للمفردة التشكيلية". الصادر عن وزارة الشؤون الثقافية. مركز الفن الحي. مدينة تونس. معرض. ١٩٨٨.

شاكر عبد الحميد. عصر الصورة. ط١. عالم المعرفة. الكويت. ٢٠٠٥

أبيقور. الرسائل والحكم. دراسة وترجمة جلال الدين سعيد. الدار العربية للكتاب. ١٩٩١.

ثانياً– المراجع الاجنبية

Paul Robert. *Le Robert. Dictionnaire poétique et analogique de la langue française*. Paris. 1920.

https://www.facebook.com/photo.php?fbid=3046129875656401&id=2258375341098529&set=a.225875612577266 04&locale=vi_VN